- وزارة التعليم العـــــالي والبحث العلمي –
- جامعة أبي بكر بلـــقايد* تلمسان* –
- الملحقة الجـــامعية *مغنية* -
- قسم اللغة العربية وآدابها-

بحث لنيل شهادة الليسانس حول موضوع:

المديح النبوي عند محمد العيد ال خليفة

من إعداد الطالبة:

- نميش دليلة

تحت إشراف الأستاذ:

- بغداد عبد الرحمن

السنة الجامعية: 1431/2014

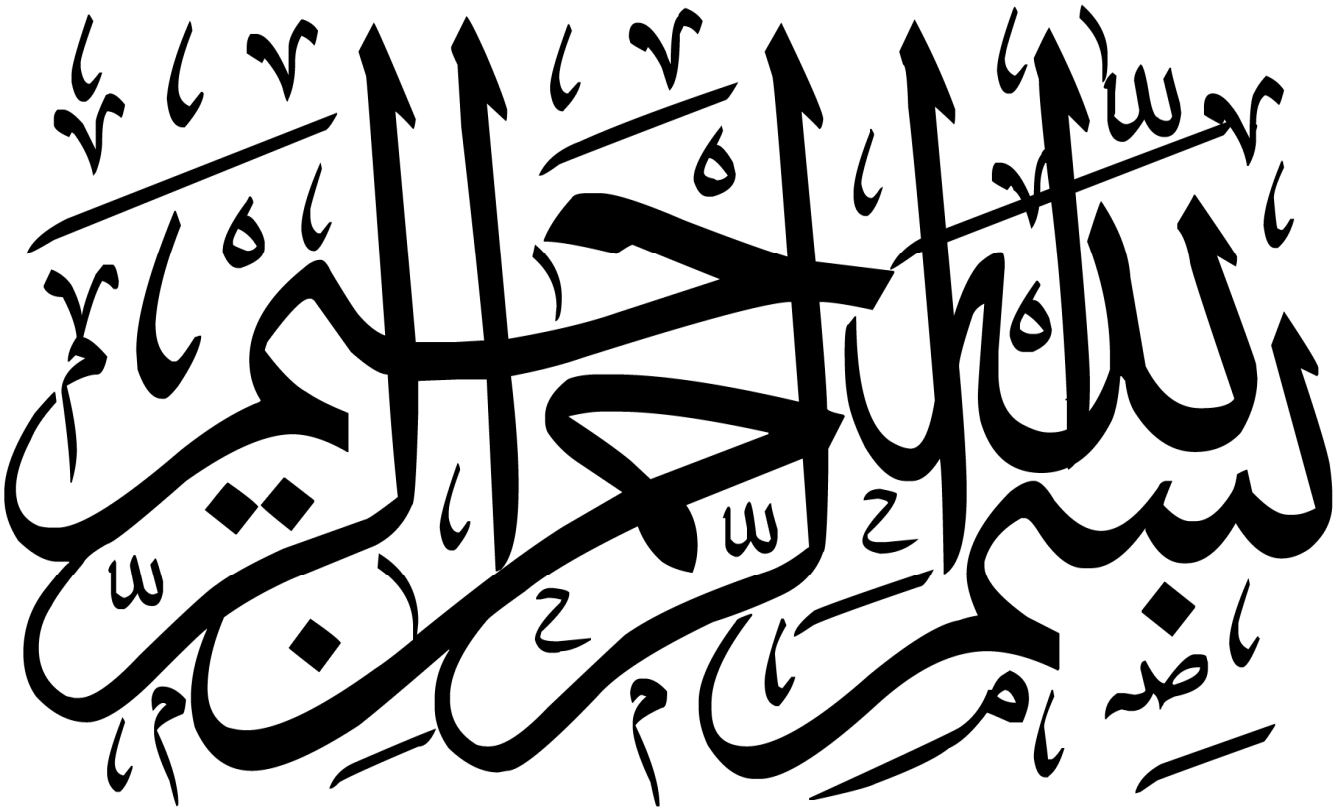
بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة شكر وتقديـــــــــــــر

أتقدم بالشكر الخالص لأستاذي الفاضل ،الأستاذ بغداد عبد الرحمـــن على المجهودات التي بذلها في تأطيره لهذا البحث وكذا على كل نصائحه وإرشاداته التي قدمها لي في مساعدته على جعل هذا العمل يتم ويرى النور .

كما اشكر جميع الذين قدموا لي يد المساعدة المادية والمعنوية سواء من قريب أو بعيد.

شكرا

إهداء

- إلى من كان سببا في وجودي .
- إلى جميع أخواتي (نـــوريه ، آسيا ، أمينة ، و يامنة)
- إلى من جمعني بهما القدر ورافقني مشوار الدراسة وسهر معي لإنجاح هذا العمل صديقي العزيز وصديقتي وعائلتهما المحترمة .

دليـلة

- خطـــــــة البحـــــــــث -

مقدمة

مدخل: المديح النبوي عبر العصور

المبحث الأول: السيرة الذاتية

المطلب الأول: مولده ونسبه وفاته
المطلب الثاني: منابع ثقافته
المطلب الثالث: شخصيته ومكانته
المطلب الرابع: آراؤه الثقافية

المبحث الثاني: شعر المديح النبوي عند محمد العيد آل خليفة

المطلب الأول: منابع التدين عند الشاعر
المطلب الثاني: موضوعات شعره
المطلب الثالث: دراسة قصائد نموذجية
المطلب الرابع: خصائص شعره

خاتمة

مـقدمة:

للجزائر في المجد والحضارة تراث ادبي وعلمي يربط حاضرها بماضيها وقد أسهم في تأسيسه أدباء وعلماء وشعراء بقوا خالدين بإعمالهم ومن الذين كان لهم الصرح الكبير في نظم الشعر، محمد العيد ال خليفة الذي كانت له الشخصية المتميزة في الشعر الجزائري الحديث حيث احتل مكانة مرموقة بغزارة إنتاجه وتنوعه وصدقه في فنه ومشاعره فعد بذلك نغما جوهريا في صوت الجزائر بوجهها العربي الإسلامي.

ومن هذا المنطلق جاءت دراستي لتحاول إبراز المديح النبوي عند محمد العيد، وهو الموضوع الذي اقترحه علي أستاذي المشرف وحفزني على البحث فيه، فوجدت في نفسي قبولا وارتياحا دفع في رغبة ملحة لدراسته وللغوص في أعماقه وذلك لما له من أهمية في مجتمعنا المعاصر لأنه عرض يساهم في شفاء النفوس السقيمة من الذنوب.

وقد وضعت مذكرتي وفق خطة بحث تضمنت في بدايتها مدخل ألقيت فيه نظرة عن المديح النبوي عبر العصور وذلك حتى يتيسر لي فهم إبداع هذا الشاعر ثم تناولت في المبحث الأول السيرة الذاتية وذلك بمولده ونسبه ووفاته في المطلب الأول، أما الثاني كان حول منابع ثقافته والثالث أبرزت فيه شخصيته ومكانته الرفيعة، اما الرابع ذكرت فيه آراؤه الثقافية أما بخصوص المبحث الثاني عنوانه: شعر المديح عند محمد العيد أل خليفة تطرقت في المطلب الأول إلى منابع التدين ، والثاني خصصته للموضوعات الدينية كما مثل المطلب الثالث دراسة نموذجية لبعض قصائده بحيث تضمن المطلب الأخير خصائص شعره وختمته بخاتمة اعتبرتها حوصلة متممة للبحث.

وقد استلزم طبيعة الموضوع أن اتبع المنهج التاريخي كما استعنت بالمنهج الوصفي لمعالجة موضوعي وقد اعتمدت على مجوعة من المصادر والمراجع كانت عنوانا لي في انجازه اذكر منها: ديوان محمد العيد أل خليفة ومحمد آل خليفة دراسة

تحليلية للأستاذ محمد ابن سمينة كذلك الأدب الجزائري الحديث للدكتور عمر بن قينة إضافة إلى شاعر الجزائر أبو القاسم سعد الله.

ولا يخلوا أي بحث من صعوبات تواجه الباحثين ولعل أهم ما اعترضني هو ضيق الوقت ولكنني والحمد لله لم الق أية صعوبات أخرى لتوفر مادة بحثي ولإعانة أستاذي لي وتوجيهاته المكثفة لأنه لم يبخل علي بأي جهد.

ونسال الله سبحانه وتعالى لن يجعل جهدي هذا مأجورا ويزيد ذلك في ميراث حسناتي ونلتمس من القارئ أن يتضرع إلى الخالق سبحانه وتعالى ويطلب لنا المغفرة في ظهر الغيب عل كل زلة صدرت مني في هذا العمل وغيره ونسال الله التوفيق.

مدخـــل

1 / مفهوم المديح النبوي:

المديح النبوي هو ذلك الشعر الذي ينصب على مدح النبي صلى الله عليه وسلم بتعداد صفاته الخلقية والخلقية ، وإظهار الشوق لرؤيته وزيارة قبره والأماكن المقدسة التي ترتبط بحياة الرسول صلى الله عليه وسلم مع ذكر معجزاته المادية والمعنوية ونظم سيرته شعرا والإشادة بغزواته وصفاته المثلى والصلاة عليه تقديرا وتعظيما.

ويظهر الشاعر المادح في هذا النوع من الشعر الديني تقصير في أداء واجباته الدينية والدنيوية ويذكر عيوبه وزلاته المشينة وكثرة ذنوبه في الدنيا مناجي الله بصدق وخوف مستعطفا إياه طالبا منه التوبة والمغفرة ، وينتقل بعد ذلك إلى الرسول صلى الله عليه سلم طامعا في وساطته وشفاعته يوم القيامة وغالبا ما يتداخل المديح النبوي التي تسمى « المولديات ».

وتعرف المدائح النبوية كما يقول زكي مبارك بأنها " فن من فنون الشعر الذي أذاعها التصوف فهي لون من التعبير عن العواطف الدينية وباب الأدب الرفيع لأنها لا تصدر إلا عن قلوب مفعمة بالصدق والإخلاص "[1].

1- زكي مبارك: المدائح النبوية في الأدب العربي ، منشورات المكتبة العصرية، صيدا بيروت ، ط1 ، 1935 ، ص17.

/ ظهور المديح النبوي:

ظهر المديح النبوي في المشرق العربي مبكرا مع مولد الرسول صلى الله عليه وسلم وأذيع بعد ذلك مع انطلاق الدعوة الإسلامية وشعر الفتوحات الإسلامية إلى أن ارتبط بالشعر الصوفي مع ابن الفارض والشريف الرضي، ولكن مع هذا المديح النبوي لم ينتعش ويزدهر ويترك بصماته إلا مع الشعراء المتأخرين وخاصة مع الشاعر البوصيري في القرن السابع الهجري الذي عارضه كثيرا من الشعراء الذين جاؤا بعده، ولا ننسى في هذا المضمار الشعراء المغاربة والأندلسيين الذين كان لهم باع كبير في المديح النبوي منذ الدولة المرينية وهناك اختلاف بين الباحثين حول نشأة المديح النبوي فهناك من يقول بأنه إبداع شعري قديم ظهر في المشرق العربي مع الدعوة النبوية والفتوحات الإسلامية مع حسان بن ثابت وكعب بن مالك وكعب بن زهير وعبد الله بن رواحه وهناك من يذهب إلى أن المديح فن مستحدث لم يظهر إلا في القرن السابع الهجري مع البوصيري وابن دقيق العيد [1].

1- ينظر عباس الجراري : الأدب المغربي من خلال ظواهره وقضاياه، مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء، ط2، 1982م، ص141.

/ تطور المديح النبوي في الشعر العربي القديم:

« أول ما ظهر من شعر المديح النبوي ما قاله عبد المطلب إبان ولادة محمد صلى الله عليه وسلم إذ شبه ولادته بالنور والإشراق الذي أنار الكون سعادة إذ يقول عبد المطلب:

وأنت لما ولـدت أشرقت ****** الأرض وضاءت بنورك الأفق

فنحن في ذلك الضياء وفي ****** النور وسبل الرشـــاد نحتـــرق »[1]

« وتعود أشعار المديح النبوي إلى بداية الدعوة الإسلامية مع قصيدة طلع البدر علينا وقصائد شعراء الرسول صلى الله عليه وسلم كحسان بن ثابت وكعب بن مالك وعبد الله بن رواحه وكعب بن زهير صاحب اللامية المشهورة

بانت سعاد فقلبي اليوم مبتول ****** متيم إثرها يفد مكبول

وقد استحقت هذه القصيدة المدحية المباركة أن تسمى بالبردة النبوية لان الرسول صلى الله عليه وسلم كسا ساحبها ببردة مطهرة تكريما لكعب بن زهير وتشجيعا للشعر الإسلامي الملتزم الذي يدافع عن الحق وينصر الإسلام وينشر الدين الرباني»[2] .

« ونستحضر قصائد شعرية أخرى في هذا الباب كقصيدة الدالية للأعشى التي مطلعها:

ألم تغتمضْ عيناكَ ليلة أرمدا ****** وعاداك ما عاد السليم المسهدا [3]

« ومن اهم قصائد حسان بن ثابت في مدح النبي الكريم صلى الله عليه وسلم عينيته المشهورة في الرد على خطيب قريش عطارد بن حاجب:

ان الذوائب من فهر وإخوتهم ****** قد بينوا سنة للناس تتبع

1- المرجع نفسه/ السابق،ص142 .
2- ديوان كعب بن زهير: تقديم وشرح وتعليق احمد الفاضل، دار الفكر اللبناني، بيروت،ط1،2003م،ص61.
3- ديوان الأعشى الكبير ميمون بن قي: شرحه وقدم له مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية/ منشورات محمد علي بيضون،بيروت،ط3،2003م-1424، ص45.

ولا ننسى همزيته المشهورة في تصوير بسالة المسلمين ومدح الرسول سلى الله عليه وسلم والإشادة بالمهاجرين والأنصار

عفت ذات الأصابع فالجواء ****** إلى عذراء منزلها خلاء » [1] .

« ومن أهم شعراء المديح النبوي في العصر الأموي: الفرزدق ولاسيما في قصيدته الرائعة الميمية التي نوه فيها بال البيت واستعرض سمو أخلاق النبي الكريم وفضائله الرائعة يقول:

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته ****** والبيت يعرفه والحل والحرم » [2]

«وقد ارتبط مدح النبي صلى الله عليه وسلم بمدح أهل البيت وتعداد مناقب بني هاشم وأبناء فاطمة كما وجدنا ذلك عند الفرزدق والشاعر الشيعي الكميت الذي قال في بائيته:

طربت وما شوقا إلى البيض أطرب ****** ولا لعبا مني وذو الشوق يلعب»

ولكن يبقى البوصيري الذي عاش في القرن السابع الهجري من أهم شعراء المديح النبوي ومن المؤسسين الفعليين للقصيدة المدحية النبوية والقصيدة المولدية كما في قصيدته الميمية الرائعة التي مطلعها:

امن تذكر جيران بدي سلم ****** أم هبت الريح من تلقاء كاضمة [3]

وقد عورضت هذه القصيدة من قبل الكثير من الشعراء القدامى والمحدثين والمعاصرين، ومن أهم هؤلاء الشعراء ابن جابر الأندلس في ميميته البديعية التي استعمل فيها المحسنات البديعية بكثرة في معارضته الشعرية

1- ديوان حسان بن ثابت، تحقيق سيد حنفي حسين، قدم هذه الطبعة عبد الحكيم راضي، ص14.

2- ديوان الفرزدق، جمع محمد جمال، المطبعة الوطنية، بيروت،1933، ص 02.

3- ديوان البصيري، تحقيق سيد كيلاني،م. مصطفى البابي الحلبي، القاهرة،1955

ومن شعراء المديح النبوي المتأخرين الذين عارضوا ميمية البوصيري عبد الله الحموي الذي عاش في القرن التاسع وكان مشهورا بميميته:

شدت بكم العشاق لما ترنموا ****** فغنوا وقد طاب المقام وزمزم

من الشعراء الذين طرقوا غرض المديح النبوي الشاعر ابن نباتة المصري، فقد ترك لنا خمس قصائد في المديح النبوي نذكر منها على سبيل المثال:

همزيته: شجون نحوها العشاق فاءوا ****** وصب مالـــــــه في الصبر راء

رائيته: صحا القلب لولا نسمة تتخطر ****** ولمعة برق بالغـــــــضا تتسعر

الميمية: أوجز مديحك فالمقـــام عظيم ****** من دونـــــــه المنثور والمنظوم[1]

1- ديوان ابن نباتة المصري، نشر محمد الفلفيلي، م -التمدن، القاهرة، 1905، ص 07 إلى 14

/ شعر المديح النبوي في الأدب المغربي والأندلسي:

إذا انتقلنا إلى الأدب المغربي لرصد ظاهرة المديح النبوي، فقد كان الشعراء المغاربة سباقين إلى الاحتفال بمولد النبي (صلى الله عليه وسلم) ونظم الكثير من القصائد في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم وتعداد مناقبه الفاضلة وذكر صفاته الحميدة وذكر سيرته النبوية الشريفة وذكر الأمكنة المقدسة التي وطئها نبينا المحبوب. و كان الشعراء يستفتحون القصيدة النبوية بمقدمة غزلية صوفية يتشوقون فيها إلى رؤية الشفيع وزيارة الأمكنة المقدسة ومزارات الحرم النبوي الشريف.

ومن أهم الشعراء المغاربة الذين اشتهروا بالمديح النبوي نستحضر مالك بن المرحل كما في ميميته المشهورة التي يعارض فيها قصيدة البوصيري الميمية

شوق كما رفعت نار على علم ****** تشب بين فروع الضال والسلـــم[1]

ويقول في قصيدته الهمزية مادحا النبي صلى الله عليه وسلم

إلى المصطفى أهديت غر ثنائي ****** فيا طيب إهدائي وحسن هدائي[2]

أما القاضي عياض فقد خلف مؤلفات عديدة وقصائد أغلبها في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم والتشوق إلى الديار المقدسة كما في قصيدته الرائية:

قف بالركاب فهذا الربع والدار ****** لاحـــت علينـــا من الأحباب أنوار[3]

ومن شعراء الأندلس الذين اهتموا بالمديح النبوي لسان الدين بن الخطيب الذي يقول في قصيدته الدالية:

1- محمد بن تاويت، الوافي في الأدب العربي في المغرب الأقصى، دار الثقافة البيضاء، ج1،ط1982،1م، ص339.

2- عبد العزيز الفشتالي، شعر عبد العزيز الفشتالي، جمع ودراسة وتحقيق نجاة المريني، ص420.

3- القصيدة من مخطوطة بالخزانة العامة بالرباط في مجموع مزورقة 166- 168، رقم744

تألق نجديا فاذكرني نجدا ****** وهاج لي الشوق المبرح والوجدا

وميض رأى برد الغمامة مغفلا ****** فمد يدا بالتبـــر أعلمت البردا[1]

1- لسان الدين بن الخطيب، ديوان لسان الدين بن الخطيب، تحقيق الدكتور مفتاح، دار الثقافة البيضاء، م ج 1، ط1، 1989م، ص346.

المديح النبوي في العصر الحديث:

من يتأمل دواوين شعراء خطاب البعث والإحياء أو ما يسمى بشعراء التيار الكلاسيكي أو الاتجاه التراثي سيلقى مجموعة من القصائد في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم تستند إلى المعارضة تارة أو إلى الإبداع والتجديد تارة أخرى ومن الشعراء الذين برعوا في المديح النبوي نذكر محمود سامي البارودي واحمد شوقي وحافظ إبراهيم ومحمد الحلوي وآخرين

فمن قصائد محمود سامي البارودي قصيدته الجيمية التي يقول فيها:

يا صارم اللحظ من أغراك بالمهج ****** حتى فتكت بها ظلما بلا حـرج

مازال يخدع نفسي وهي لاهيـــة ****** حتى أصاب سواد القلب بالدعج[1]

وهذه القصيدة هي في الحقيقة معارضة لقصيدة الشاعر العباسي الصوفي ابن الفارض التي مطلعها:

ما بين معترك الأحداق والمهــج ****** أنا القتيل بلا إثم ولا حـــــرج [2]

ومن قصائده أيضا في المديح النبوي قصيدته "كشف الغمة في مدح سيد الأمة" وعدد أبيات هذه القصيدة 447 بيتا

ومن الشعراء الآخرين الذين نظموا على منوال البردة الشيخ أحمد الحملاوي في قصيدته التي سماها كذلك بـــ "منهاج البردة"

ويحذو أحمد شوقي حذو البارودي في معارضة الشعراء القدامى في إبداع القصائد المدحية التي تتعلق بذكر مناقب النبي وتعداد

1- شرح ديوان محمود سامي البارودي: شرح وتقديم حجر عاصي، دار الفكر العربي، بيروت، لبنان، ط1 2002، ص 55.

2- ديوان ابن الفارض، دار صارد. بيروت،ص 144.

معجزاته وصفاته المثلى.

ومن الشعراء المغاربة المعاصرين الذين مدحوا النبي صلى الله عليه وسلم نذكر الشاعر المراكشي إسماعيل زويريق الذي خصص كتابين لسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم تحت عنوان: "على النهج "يعارض فيهما شعراء المديح النبوي.

ومن القصائد التي نظمها في المدح نذكر القصائد التالية:

قصيدة "بانت سعاد" التي يعارض فيها قصيدة كعب بن زهير:

بانت سعاد فما للحزن تمهيـل ****** الدمع منسجل والجسم مهزول [1]

قصيدة "في رحاب المدينة" التي عارض فيها قصيدة الهمزية للبوصيري:

هاتـــها، ما للنفس عنها غناء ****** جابني الشوق حين عز الدواء **(2)**

ويتضح لنا مما سبق ذكره أن شعر المديح النبوي شعر صادق بعيد عن التزلف والتكسب، يجمع بين الدلالة الحرفية الحسية والدلالة الصوفية الروحية.

1- ينظر إسماعيل زويريق، على النهج،مطبعة وليلي، مراكش،ج1،ط1،2004،ص10.
2- المرجع نفسه، ص 11.

المطلب الأول: مولده ونسبـــــه:

ولد محمد العيد آل خليفة في مدينة العين البيضاء بتاريخ 27 جمادى الأولى 1323 الموافق ل 28 أوت 1904م من أسرة دينية عريقة ونشا بهذه المدينة وحفظ القران الكريم وتعلم بمدرستها الابتدائية على يد الشيخين محمد الكامل بن عزوز واحمد بن ناجي ثم انتقل إلى بسكرة على أبواب الصحراء سنة 1918 حيث تابع دراسته على يد المشايخ علي بن إبراهيم العقبي الشريف والمختار بن عمر اليعلاوي والجنيدي احمد مكي.

وفي عام 1920 تاقت نفسه للذهاب إلى تونس كي ينال شهادة التطويع من جامع الزيتونة التي كانت له شهرة دينية وثقافية في المغرب العربي كمعقل إسلامي عربي قديم وقد زاد من شوق محمد العيد لتحقيق هذه الأمنية أن بشائر النهضة القومية القومية كانت قد كانت ثبعت الآمال في النفوس التي ظلت يساورها الشك واليأس حوالي قرن من الزمن.

وفي جامع الزيتونة حاول أن يتعمق في الثقافة العربية قديمها وحديثها وان يجمع بين الحياة الدينية التي ورثها عن أسرته ومشايخه وبين الحياة المادية الصاخبة التي يعيش تحت شمسها ويسمع عن تطوراتها أشياء كثيرة ولكن هذه المحاولة لم يقدر لها أن تنجح فقد عاد إلى بسكرة بعد عامين لأسباب عائلية أو شخصية نجهلها حتى ألان[1] .

وفاته:

بقي الشاعر يعيش أواخر أيامه بصوفيته وزهده وعكوفه عن الحياة الدنيا إلى أن مرض ونقل على اثر ذلك إلى مستشفى مدينة باتنة وبقي على حاله يوم الأربعاء، وتوفي في السابع من رمضان المعظم سنة 1399هـ الموافق لـ 31 جويلية 1979 ونقل جثمانه إلى مدينة بسكرة حيث دفن بمقبرة الفريلات وذلك يوم 09 من شهر رمضان الموافق للثاني من شهر أوت[2] .

1- ينظر شاعر الجزائر محمد العيد آل خليفة، الدكتور أبو القاسم سعد الله، تصدير الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، دار الكتاب، الجزائر، ط5 ،2007، ص 86 .

2- ينظر محمد العيد آل خليفة: دراسة تحليلية لحياته، تأليف الأستاذ محمد ابن سمينة، ديوان المطبوعات الجامعية، ابن عكنون، الجزائر،1992، ص9 .

المطلب الثاني: منابع ثقافتـــه:

تعد الأسرة التي عاش فيها "محمد العيد" أول منبع لثقافته ، فقد أخذ منها الكثير كحب الوطن وحبّ العقيدة والقيام بتعاليمها ، وكذا محبة الأخلاق السامية والتحلي بها ثمّ استهل تعلمه وحفظه للقرآن الكريم ، في الكتاتيب ثم التحق بالمدرسة التابعة لمسقط رأسه بعين البيضاء حيث بدأ يتلقى المبادئ الأولى في العلوم الدينية واللغوية على يد الأستاذين : الشيخ أحمد بن ناجي والشيخ محمد الكامل بن الشيخ المكي.

أتمّ حفظ القرآن الكريم وهو صاحب الأربعة عشر سنة، على يد أحد أئمة مساجد بسكرة ، ثم توجه لدراسة التوحيد والفقه والنحو والمنطق وغيرها من العلوم الدينية واللغوية ، على يد الشيخ"عليّ بن إبراهيم العقبي" [1].

وهكذا ابتنى محمد العيد من صلب بيئة عربية وهذا ما شهده لنا شعره الإسلامي.

« وفي عام1921م، سافر إلى تونس ، قبلة البعثات الطلابية آن ذاك وانتسب إلى جامع الزيتونة ، ولمّا وجد أن الكتب المقررة في درجته ، كان قد قرأ معظمها بالجزائر ، قررّ التخلص من هذه الطريقة النّظامية ، التي تلزمه بالحضور في حلقة معينة ، فراح يحضر حلقات مختلفة المستويات ممّا سمح له باختيار ما يلائمه من دروسٍ وأساتذة ، والى جانب هذا كان يداوم بصفةٍ حرة على بعض الدروس في بعض المواد العصرية كالحساب والجغرافية وغيرها وذلك بالمدرسة الخلدونية ، وبقي على هذا الحال مدة سنتين ، ولأسبابٍ مرضية عاد إلى الجزائر عام1923م ، دون أن يحصل على أية شهادة علمية ، وكان ما يزال طالب علم، متعطشاً إلى المزيد ، فاتصل بالعديد من الشيوخ ، وأخذ عنهم الكثير من العلوم منها؛ الفقه والحساب والفلك والتفسير وعلوم البلاغة»[2].

1- محمد العيد آل خليفة: دراسة تحليلية لحياته، تأليف الأستاذ محمد ابن سمينة، ديوان المطبوعات الجامعية، ابن عكنون، الجزائر،1992، ص10.

2- ينظر الرجع نفسه ، ص11

وبهذا برزت شخصية الشاعر المؤمن الصادق من خلال طبيعة تكوينه الاجتماعي والنفسي.
« فقد تقلد بفضلها عدةٌ مناصب نذكر:

درّس في عدةٌ مدارس وتولىّ إدارتها مثل:جمعية الشبيبة الإسلامية في مدينة الجزائر سنوات"1928-1940" وكان مديراً لها عام1931م.

وكذا مدرسة التربية والتعليم في باتنة سنوات"1940-1947" ومدرسة العرفان بعين مليلة سنوات"1947-1954" ، تولى منصب إمام بمسجد من المساجد الحرةٌ بعين مليلة.
احتل منزلة عضو في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين منذ تأسيسها عام 1931م، وكان نائب رئيس لجنة الآداب التابعة للجمعية وشارك في النهضة الصحافية ببسكرة ، حيث نشر في معظم الصحف والجرائد شعره.

احتل منصب عضو في الهيئة المؤسسة والمحررّة لجريدة صدى الصحراء ، كان العضو الثاني إلى جانب العقبي في إصدار وتحرير جريدة الإصلاح ، كما كان عضواً في تأسيس مطبعة الإصلاح،كان عضواً مراسلاً في مجمع اللغة العربية بدمشق كما اعتبر كاتب مسرحيّ، مثلت مسرحياته في الحفلات الطلابية »[1] .

« كما عمل عضوا في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين منذ تأسيسها 1931م والذي أسهم فيها مشاركا بشعره في النهضة الأدبية فظفر بلقب شاعر الشباب وأمير الشـــــعراء» [2] .

وبهذا يبقى محمد العيد من الشعراء المعصومين الذين مكنوا لدور الشعر نضاليا في حركة النهضة الحديثة وصوتا متميزا في مسيرة الحركة الشعرية في الجزائر.

1- ينظر الحس الإصلاحي في شعر محمد العيد آل خليفة،من إعداد حرة زياط تومية زروالة، صديقي ناصرية، تحت إشراف الأستاذ وذناني بودود دفعة 2000.
2- مجلة الأثير عدد 5 عام 1972 بعد بثها في القناة الأولى صباح يوم 1972/01/05م كما نقلتها بعد ذلك مجلة الجيش.

المطلب الثالث: شخصيته ومكانته:

كانت حياته الدينية التي شبّ عليها سبب في رغبة حياة الدنيا موليا وجهه عن زخرفها ، قانعاً بالقليل منها، ممّا طبع بطوابع الجدّ ، فنشأ بذلك عزوفاً عن الحياة المليئة بالبذخ والملذات فهو لم يعرف ما عرفه بعض الشعراء في القديم وفي الحديث ، من مظاهر اللهو والترف في مراحل حياته ، كما لم يعرف من ناحية أخرى، ذلك التردّد ما بين اللهو والتدين أو ذلك الازدواج في الشخصية ، الذي وقع فيه بعض الشعراء المحدثين أمثال "أحمد شوقي"بل شبّ على الدين والتقوى وشاب عليها، فتجلى ذلك في طهارة قلبه وعزةّ نفسه والميل إلى البساطة والتواضع والنّفور من الادعاء والتعقيد والتكبر.

وقد شبه الأستاذ "محمد بن سمينة" شخصية الشاعر بشخصية "حسان ابن ثابت الأنصاري" حيث قال: «وتكاد شخصيته في هذه الجوانب تقترب من شخصية الشاعر حسان ابن ثابت الأنصاري ، الذي كان يغزو مع المجاهدين في صدر الإسلام» [1].

ويقول عنه الدكتور عمر بن قينه:«هو شخصية متميزة عكسها شعره الذي رافق مرحلة النهوض السياسي والفكري والإصلاحي ، فعبرّ عن ذلك بصدق وإخلاص فكان بذلك نغماً جوهرياً في صوت الجزائر ، بوجهها العربي الإسلامي، وملامحها الإنسانية ، منساقاً في كلّ الأحوال لقيم الخير والحرية والعدل والمحبة والرحمة والتكافل والبذل ...ممّا يعكس حقاً شخصية شاعر فنان يهزه الحدث الكبير ، كما تطربه اللفتة الصغيرة والصورة الجميلة ، مثل الفكرة العابرة »[2].

1- ينظر محمد العيد آل خليفة: دراسة تحليلية لحياته، تأليف الأستاذ محمد ابن سمينة، ديوان المطبوعات الجامعية، ابن عكنون، الجزائر1992، ص12 .

2- ينظر في الأدب الجزائري الحديث تاريخا وأنواعها وقضايا وأعلامها، تأليف الدكتور عمر بن قينة، ديوان المطبوعات الجامعية، ابن عكنون ، ص 68 .

المطلب الرابع: آراؤه الثقافية:

« درس محمد العيد في الجزائر أولا بطريقة الكتاب أو المدرسة القديمة سواء في عين البيضاء أو بسكرة تم ارتحل إلى الزيتونة ولم يبق بها أكثر من سنتين وفي خلال هذه المدة الوجيزة أمكنه أن يكتسب خبرة واسعة وان يستعمل أوقاته في الدرس والتحصيل والاطلاع » [1] .

« ومنذ عاد من الزيتونة نعتقد انه بدا نظم الشعر التي كانت تبدوا له الحياة فيها تحت الاحتلال الفرنسي كابوسا مقيما، فضاق بهذا الوضع وقد تمكنت نفسه مشاعر قاتمة للوضع العام ولواقعه الشخصي وهو في مطلع شبابه، وقد اجتث الاحتلال الفرنسي من النفوس كل بذور الأمل في الحياة الهادئة السعيدة، كما سد كل آفاق الثقة في الناس والأمل في المستقبل فوجد هذا الشاب نفسه وهو في العشرين من عمره يعيش إحساس بائس في الثمانين أو في التسعين ضجرا من الحياة، غير أن الشاعر لم يلبث حتى شرع يتلمس طريقة إلى الخلاص الجزئي من هذه الدوامة البغيضة ، فانغمس في التعلم والتعليم نشاركا في الحركة الشعرية والإصلاحية في حين بدأت الحركة الوطنية فيه تشهد حيوية » [2] .

1- ينظر شاعر الجزائر: محمد العيد آل خليفة، الدكتور أبو القاسم سعد الله، تصدير الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، دار الرائد للكتاب، الجزائر، ط5،2007،ص89 .

2- نص المقدمة التي كتبها للطبعة الثالثة من ديوان محمد العيد آل خليفة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1967 مع تصرف .

كما يتأثر بها المعجبون من أدباء الوطن الآخرين وكان محمد العيد في طليعة من تأثر بجبران بالذات في فلسفته في الحياة والأحياء، وكان من المنتظر أن يتمرد الشاعر نتيجة تأثره بهذه المدرسة الرومانسية الثائرة ولكن لأسباب اجتماعية اكتفى بالتأثر الهادئ دون أن يدافع بالسلاح في وجه القديم والقدماء كما فعل زعماء هذه المدرسة بالأدب القديم ولاسيما العباسي منه وإيثاره مبادئ النقد القديمة، وإصغاؤه إلى نقاد من أمثال المشايخ ابن باديس والإبراهيمي والعقبي، ومع أن الصورة التي تكاملت أمامنا عن ثقافة هذا الشاعر ومصادرها ومدارسها توحي بأنه لابد أن يكون قد تأثر بهاتين المدرستين أو بإحداهما، وانه لابد أن يكون قد اهتدى بمعالم القديم لذي اطال دراسته وتشيع من اهوائه فانه ينكر ويصر على إنكاره انه تأثر بأحد أو اقتفى اثر كاتب معين أو عاند مضاضة الدرس وعذاب البحث ولا يعترف سوى بكتاب الله مصدرا يستمد منه المعرفة ويستوحي منه أغراضه الشعرية وقوته [1] .

ويزعم أن يقف وحده بين الشعراء متعففا بن يمد شفتيه لكأس تتجاذبها ألاف الشفاه الأخرى وذلك في قوله:

يقولـــون هل نقبت في الكتب باحثا ****** فقلت لهم لم أقف أثار كاتب

وعفت فلم اشرب من الكأس فضلة ****** يزاحمني في شفها الو شارب

ومن كـان للإسفار في العلم راغب ****** فأنني للإسفار لست براغب [2]

1- ينظر المرجع نفسه، ص 89 .
2- ديوان محمد العيد محمد علي خليفة، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر، 1967، ص 89.

هذا هو رأيه بصراحة ، تعفف واستغناء واكتفاء ذاتي كامل ولكننا لا ندري من الذي يفهمه من اقتفاء الأثر والاقتداء بالكتاب فان كان يعني التقليد المحض والسطو الجبري فقد نوافقه على مجرى التأثر والاقتباس الذهني أو العقلي نتيجة الاشتراك التلقائي أو الاتفاق الموضوعي فهذا ما لا نستطيع ام نوافقه عليها مهما تعالى في الإنكار[1] .

وبهذا يعد محمد العيد آل خليفة من رواد الشعر الحديث مهما اجتهدنا في تبيان أهمية شعره فلن نقول أكثر مما شهد به رئيس العلماء وشيخ الأدباء البشير الإبراهيمي-ت 1965م الذي قال رافق النهضة الجزائرية في جميع مراحلها وله في كل نواحيها وفي كل طور من أطوارها وفي كل اثر من آثارها القصائد الغر والمقاطع الخالدة شعره لو جمع سجل صادق لهذه النهضة وعرض رائع لأطوارها[2] .

1- ينظر المرجع نفسه، ص 90.

2- ينظر الإسلام والعروبة في شعر محمد العيد أل خليفة من إعداد تقاري محمد خليفة الطاهر علالي عبد القادر تحت إشراف وذناتي بوداود، دفعة 1995-1996 .

المطلب الأول: منابع التدين عند محمد العيد ال خليفة:

هذا الشاعر المجاهد أطلق عليه الإمام عبد الحميد بن باديس سنة 1940 لقب أمير شعراء الجزائر وهو يعتبر احد ابر علماء ومدرسي وشعراء جمعية العلماء المسلمين التي كافحت في سبيل عزة الإسلام والمسلمين من الاستعمار الفرنسي الغاشم هو محمد العيد بن محمد علي بن خليفة من محاميه سوف أي أولاد احمد من ذباب بن مالك من بني سليم بن منصور من المناصرين منهم من شرق الصحراء بمدينة كوينين ولاية الوادي الجزائرية.

حفظ القران الكريم كاملا ولم يتعدى الثانية عشر من العمر كما تلقى الحديث واصول الدين واللغة على يد الشيخين محمد الكامل بن عزوز واحمد بن ناجي ، انتقل مع أسرته إلى مدينة بسكرة سنة 1918م، وواصل دراسته بها عند المشايخ علي بن إبراهيم العقبي الشريف والمختار بن عمر اليعلاوي والجنيدي احمد مكي[1] .

وكان محمد العيد جديرا بكل ما نال من ألقاب تدل على رسوخ القدم في ميدان الشعر فقيل عنه شاعر النهضة الجزائرية وشاعر الشمال الإفريقي وخير دليل على صحة هذه تلك الحياة الصاخبة التي عاشها وكانت نابضة بالشعر والجهاد الفكري والتي ترجم معظمها ثراته الشعري المبثوث في ديوانه الذي حوا مائتي نص

1- ينظر محمد بن مينة، العيديات المجهولة، موفم للنشر، ط1، الجزائر2003.

شعري اغلب قصائد طوال كان فيها محمد العيد من اقوي الشعراء الجزائريين تمثيلا للشعر العربي الصميم في صياغته ونظمه وقد جمع قصائد الديوان أول مرة تلميذه احمد بوعدوا سنة 1952م، وتم طبعه سنة 1967م [1] .

وان الحديث عن شعر محمد العيد يقودنا إلى الشعر الديني الجزائري الحديث الذي امتاز بتنوع الموضوعات وغزارة الإنتاج وكان له دور كبير وخطير في الساحة الأدبية والروحية والسياسية الجزائرية، حيث انه يمثل قسطا كبيرا من الشعر الجزائري الحديث ويميز فيه ثلاثة اتجاهات هي:الشعر الصوفي والإصلاحي والشعر الديني الملحون، والملاحظ أن الشعر الصوفي كان في اغلبه مدائح نبوية وتوسلات الرسول والصحابة والأولياء، وقد تجلى هذا الاتجاه بوضوح بعد تعرض الجزائر لحملات الدول الأجنبية وبخاصة الحملات الاسبانية، وقد عمل الأتراك العثمانيين أثناء وجودهم في الجزائر على تشجيع هذا اللون من الشعر ووجد من الشعراء من يكتب قصة الرسول كاملة منذ ولادته حتى وفاته أو يتحدث عن معجزاته أو يصف جماله الظاهر والباطن ويشيد بنبوته وأخلاقه بل من الشعراء من أرخ لغزواته وتحدث عن صحابته وأهل بيته وأثاره وفضائله بل وجدت كتبي معظمها صلوات على النبي ليس فيها من الشعر قليل أو كثير[2] .

1- ينظر محمد مصايني، فصول في النقد الأدبي الجزائري الحديث، الشركة الوطنية للنشر،ط2، الجزائر،1981، ص 06 .

2- ينظر عبد الله الركيبي، الشعر الديني الجزائري الحديث، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر،1981، ص48 .

المطلب الثاني: موضوعات شعره المدحي:

الشعر الديني عند محمد العيد يمثل اغلب شعره وهو شعر إصلاحي والإصلاح سمة غالبة على شخصيته، وهو في شعره لم يتناول قضايا فلسفية أو عقلية مجردة كان يقتبس من القران الكريم والسنة النبوية ويوظف التاريخ الإسلامي المشرق وبعض مواقف أعلامه ورجاله في الرسالة التي يحملها والقضايا التي يدافع عنها وفي شعره نجد التمجيد للشهادة والشهداء وذلك في مكثر من قصيدة ومنها قصيدة وقفه على قبور الشهداء والتي يقول فيها:

رحـم الله معشر الشهداء ****** وجزاهم عن كريم الجزاء

وسقى بالنعيم منهم ترابا ****** مستطابا مقطرا الأرجاء[1]

والابتهال إلى الله وله في هذا الموضوع عدة قصائد وكثير من الأبيات أهمها قصيدة فاتحة ثناء وابتهاء وفيها يقول:

حمدتك باللسان والجنـــان ****** وحمدك عزة النعم الحسان

وباسمك التدي وعليك اثني ****** من أثنيت في السبع الثاني [2]

والاحتفاء بالأعياد والحج وغيرهم وفي هذا المقام يقول صالح خرفي (يحلق محمد العيد في الأفاق البعيدة للرسالة السماوية والمواقف البطولية لظهور الإسلام والتركيز في حياة محمد صلى الله عليه وسلم على جانب الجهاد والوقوف مليا عند فتوحاته وتلك هي مطامع الشعب الجزائري وهو يعاني من التحكم الأجنبي) [3] .

1- ديوان محمد العيد آل خليفة، ص 435 .

2- المصدر نفسه، ص 379 .

3- صالح خرفي، صفحات من الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1973.

ومن تلك المناسبات التي احتفى بها محمد العيد وخلدها بشعره، ذكرى المولد النبوي الشريف ومنها قصيدة سلوا التاريخ التي تجاوز فيها الحديث عن الذكرى إلى الدعوة إلى الاستقلال والتحرر من الاحتلال الأجنبي.

وأما اليأس والكآبة فليس لهما مكان فيقلبه بل انه حاربهما في عدة مناسبات منها قوله في قصيدة أبا المنقوش:

مـــا في الجو من غيم كثيف ******* وان طال المدى فإلى زوال

وقل لابد الجزائر كن صمودا ******* فنصر الله للبأساء تـــالي[1]

وكان للشعر أمنيات جليلة فهو يتمنى العيش حرا في بيئة خالية من الحقد والخطايا وأداء فروض الحب والطاعة لله وحده حيث يقول:

ليتني كنت سائحا موطني البيد ****** ولبسي المسموح والأهدام

وطعامي النبات من كـل نـوع ****** ومبيتي الكهوف والآكام[2]

وقد علق أبو القاسم سعد الله على الأمنية التي تضمنتها الأبيات السابقة فقال (إنها أمنية تذكرنا بأساطير الفلاسفة المتصرفين وتحضر إلينا صور العشاق الغدريين الذين يجدون في الخلاء والمناجاة متعة الروح الظائمة حيث يسمعون همسات الأحبة تناجيهم عن قرب تارة وعن يعد تارة أخرى وهم مع كل همسة ومع كل طيف يزدادون شوقا ويتحرقون لاشراقة الوجه الحبيب) [3]

1- المصدر نفسه، ص 425 .

2- المصدر نفسه، ص 178

3- أبو القاسم سعد الله: شاعر الجزائر محمد العيد، ص100 .

وقد طرق الشاعر موضوعات أخرى دينية تتعلق بأمور العقيدة حارب فيها أمراض التردد والإلحاد وكشف أباطيل المستشرقين وموضوعات تربوية وفي موضوع المرأة الذي خاض فيه الكتاب والشعراء والمفكرين، وكان لشاعرنا رأي برز في كثير من الأبيات وفيه دعوة إلى التعفف والتعلم في البيت والمدرسة وفيه تشنيع صريح بالرذائل والانحرافات ونقرا في شعره نظرته للحياة والموت وهي نظرة لا تحيد عن تعاليم الدين، والتي يرى فيها إن الحياة ما هي إلا طريق شائك حيث يقول في قصيدته في ظلال الخير:

والعيش ما العيش سوى ما لؤها سلع

فاحسدوا التجر فيها واصطفوا السلع

والموت ما الموت عقبى العقبيات فمن

افضى اليه عـــداه السعي وانقطـع [1]

وفي المديح يختلف محمد العيد عن الشعراء الآخرين وله أسلوب يقول عنه عبد الله الركيبي(هو أسلوب يتفق مع النظرة الجديدة لسيرة الرسول فيدخل الشاعر في الموضوع مباشرة به مقدمات غزلية أو دون ذكر للشوق لان الغرض هو تبيان سمو الرسالة وعظمتها) [2]

1- محمد العيد أل خليفة، الديوان، ص 255.

2- عبد الله الركيبي، الشعر الديني الجزائري الحديث، ص 89 .

المطلب الثالث: دراسة لقصائد نموذجية:

تحسن الإشارة إلي أن من ابرز شعراء العربية في الجزائر نهوضا بشعر فن المديح النبوي ومن أكثرهم استجابة لمراميه هم شعراء النهضة الوطنية ويلقانا في مقدمتهم الشاعر محمد العيد آل خليفة وقد وصلنا من شعره في هذا الغرض سبع مولديات لم يتجه في واحدة منها اتجاه شعراء المدائح النبوية المتقدمين عن العصر الحديث وإنما انتهج فيها نهجا جديدا يقوم على استخلاص العبرة سيرة صاحب هذه الرسالة ومن سنته بما يسمو بواقع قومه ويدفع بهم نحو تحقيق أهدافهم الكبرى في الرقي والتحرر وهذه هي المولديات السبع للشاعر مرتبة ترتيبا زمنيا حسب تاريخ نظمها:

1/ هلال ربيع أو ذكرى مولد محمد (1928).

2/ تحية المولد (1929).

3/ خطك الله للعباد كتاب (1932) .

وهذه المولديات المتقدمة الثلاث من الشعر الجهول لمحمد العيد

4/ ذكرى المولد النبوي (1937) [1] .

5/ أنشودة الوليد (1938)[2] .

6/ يا امة الخير (1950) [3].

7/ سلوا التاريخ (1950) [4] .

ونستهل الحديث عن هذه المولديات بالوقوف عند ثلاثتها الأولى المستدركة على ديوان الشاعر وهي:

1- ينظر الديوان،ص 75.
2- المصدر نفسه،ص 166.
3- المصدر نفسه، ص 174.
4- المصدر نفسه ، ص 198 .

1/ هلال ربيع أو ذكرى مولد محمد: تشتمل على تسعة وثلاثين بيتا من البحر الوافر

2/ تحية المولد النبوي: وتتكون من خمسين بيتا على بحر الكامل

3/ خطك الله للعباد كتابا: وتتكون من واحد وأربعين بيتا على البحر الخفيف

« وقد يكون إغفال إدراجها في ديوان الشاعر بإشارة منه وقد يكون ذلك نتيجة لسهو وقع فيه المشرفون على عملية نشر الديوان بيد أني أميل إلى ترجيح الاحتمال الأول وأستبعد أن يكون أبدى أولئك المشرفون لم تسطي عان تصل إلى مصادر هذه القصائد وهي فيما احسب ليست من المصادر البعيدة المنال عليهم وعلى الشاعر نفسه الذي كانت تربطه بهؤلاء صلة خاصة أثناء جمعهم شعره كما استبعد أن يكون أولئك الناشرون قد وقفوا على القصائد وتعمدوا إغفالها بمبادرة من أنفسهم وهم يعرفون أن ذلك إنما يكون على حساب القيمة العلمية لما هم عاقدون العزم على النهوض به.

ويمكن القول أن الفكرتين: النظرة الصوفية والرؤية الواقعية والإصلاحية من جهة ثانية كانت تعيشان في هذه المولديات »[1].

ويبدوا أن ما تضمنته هذه المولديات من إشارات إلى الجو الذي كان يناضل في وسطه الرسول صلى الله عليه وسلم، وما كان يحدق به من جاهلية وما ارتبطت به دعوته من حث على العلم وترغيب في السلم واعتماد على النضج والإرشاد واستهداف إلى الصلاح والإصلاح.

1- ينظر المصدر نفسه، ص133.

أما قصيدة الشاعر الرابعة في هذا الباب فهي ذكرى المولد النبوي وتقع في سبعين بيتا وقد انشده في الحفل الذي أقامته جمعية الشبيبة الإسلامية بنادي الترقي بالعاصمةإحياء لذكرى المولد النبوي الشريف 1937[1] .

وان الدارس لهذه القصيدة يدرك أن صاحبها استطاع أن يحافظ فيها على منهجه الواقعي الذي المح إليه في أول مولدية له وان الهدف الأساسي من إحياء هذه الذكرى في منظور محمد العيد آل خليفة وفي منظور شعراء جيله إنما هو العمل على تصحيح ذلك المفهوم السائد لهذه الاحتفالات لذى بعض الأوساط تلم التي لا يهمها إلا المظهر مما يكاد يجرد هذه الذكرى من كل سلوك عملي فيه نفع للناس بل ربما تكون في بعض الأحيان عاملا من عوامل السلب لما يشاع فيها من مظاهر الفساد وتحقيقا لذلك عمد الشاعر إلى الوقوف وقفة متأنية استعرض فيها جملة من المواقف والمشاهد، ويقرا الدارس فيها أول ما يقرا صفحات ناصعة من سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، تبرز حقيقته كرحمة مهداة من عند الله للعالمين وتوضح جهوده في نشر الدعوة وإرساء دعائم الدولة الإسلامية:

ألا يا حبذا ذكـــــــرى ****** أقمناها لمعياد

بها نستعرض التاريـــ ****** خ من خاف ومن باد

سلوا التاريخ عن بـــــر****** رحيم للورى فادي

سلوا التاريـخ عن ارض ****** حماها من يد العادي

سلـــوا عن دولة الإســـــ ****** لام كم باهت بأجناد [2]

وكان الشاعر لم يقنعه من الحديث العام الذي المح به إلى العبرة من هذه الذكرى، فاح بان تكون له وقفة أخرى خصوصية يؤكد فيها لقومه ضرورة التآخي والاتحاد ويحذرهم من نتائج التفرقة والنزاع ويفرغ الشاعر من هذا الحديث إلى نهاية

1- يقع هذا العمل في جزأين صفة، د/ محمد صبري، نشر دار المسيرة، بيروت،ط2؟، 1399هـ/ 1979 م.

2- ينظر الديوان ص 75-77 .

قصيدته فيختمها لا بما يختم به الشعراء المتصوفة مدائحهم من معاني التوسل والشفاعة وما إلى ذلك، وإنما ختمها بما يزيد منهجه الواقعي تدعيما وفاعلية وذلك بدعوته الشعب إلى التمسك بدينه واستلهام حقائقه في مسيرته النضالية واقتفاء أثار رجاله العاملين المخلصين وان كان في هذه الخاتمة ما يقربه من خواتم بعض المتقدمين، فعلل ذلك ما يبدوا في ظاهرة الدعاء بيد انه حتى في هذه السمة يتميز عن بعضهم بالتوجه في دعائه لا لنفسه وإنما إلى الله والى نصرة دينه يقول في هذا الصدد مخاطبا شعبه:

أنط يا شعب مذ ديـــ ****** نك أطنابا بأوتاد

وهي مثلما هيأ حـــز****** ب الله مـــن زاد

وسر في أثرهم سيرا ****** قويما غير مناد

ألا فليحي ديـــــن الله ****** في نصر وإمداد

ألا فليحي ديـــن الله ****** أمــاد الآمـــــــاد

ويتضح من خلال ما تقدم أن الشاعر كان في عمله أكثر وفاء لمنهجه الواقعي وهو إن كان ينطلق فيه من التاريخ فان جل اهتمامه فيه كان ينصب على الحاضر ذلك أن الحديث عن ذكرى ميلاد الرسول صلى الله عليه وسلم وعن سيرته ودعوته ودولته وعصره، إنما كان الهدف من كل ذلك هو معالجة الحاضر والنهوض به.

1- ديوان محمد العيد آل خليفة، ص 78.

دوافع نظم المولدية الخامسة: أنشودة الوليد

« تقع في أربعة وخمسين بيتا على بحر الكامل المجزوء نظمها الشاعر على لسان احد الفتيان لتكون أنشودة الجيل كما يوحي بذلك عنوانها في إحياء الاحتفالات بالمولد النبوي الشريف، وطبعا لتلك الغاية طبعة مستقلة سنة 1938 تيسرا لتداولها بين المواطنين وبخاصة في أوساط الطلاب والناشئة، عموما يمكن للباحث أن يتساءل عن الدوافع التي حملت الشاعر أن يتوجه في هذه القصيدة هذه الوجهة وان يسلك فيها هذا المسلك؟ إن معرفته ستكون ميسورة للسائل اذما تذكر أن الشاعر قضى معظم حياته عاملا في حقل التربية مما سمح بان يكون في اقرب المواقع من بيئة الشباب ومن بين أكثر الناس خبرة بميولهم وباتجاهاتهم وتوجيههم، ومن هذا التصور كان حريا بالشاعر أن يخص ناشئة وطنه وهم ركائز بنائه وعدة مستقبله ببعض شعره فكان من ذلك هذه القصيدة التي خطا فيها خطوة جديدة على طريق التطور في موضوعها وفي وجوه صياغتها» [1].

التحليل:

اعتماده على الأسلوب المباشر الذي يقوم على الأمر والنهي وما إلى ذلك من سمات الأسلوب الخطابي مما يدل على أن الشاعر كان خبيرا بقيمة واثر كل أسلوب من هذه الأساليب الفنية باستخدامه الأسلوب التقريري لأنه من أكثر الأساليب ملائمة لما يتناول من موضوعات نظرا للظروف الموضوعية المحيطة بالشاعر ، وهذا دليل كاف على وعي الشاعر بعمله الفني. ويحسب أن وعي الشاعر الملحوظ بعمله الفني وطبيعة الأهداف التي كان يؤمن بها بالإضافة إلى نوعية وتقنيات هذا الأسلوب الذي أعانه كل ذلك .

1- ينظر محمد العيد آل خليفة،ص 77.

« معظم المدائح النبوية من تلك المقدمات الطويلة سواء ما كان منها في الغزل أو في النسيب، أو ما كان منها في الحمد أو التوسل أو غير ذلك أو بما كان هو نفسه قد استهل بهم مولدياته السابقة مما بدا في إشادته بشهر المولد وبيان دواعي الاحتفال به لم يفعل ذلك في هذه المولدية وإنما هجم على موضوعه من مطلع القصيدة معربا عن مكنونات وجدانه وما يفيض به من حب للرسول صلى الله علية وسلم وتعلق بهديه وتجمل بأخلاقه وهو يستخدم في ذلك ضمير المفرد المتكلم وهو التلميذ الذي انشأ الشاعر قصيدته على لسانه وانطقه فيها بما يدور في وجدانه» [1]

بمحمد أتعلـــــــق ****** وبخلقه أتخلق

وعلى البنين جميعهم ****** في حبه أتغرق

نفسي الفتية دائـــــما ****** من حبه تتحرق

وجوانـــحي مهتاجة ****** ومدامعي تترقرق

مـــالي وللعب التـــي ****** تختار لي وتنسق

انأ مسلم أهـــــــوى ****** الهدى سواه لا أتحقق

بخـلال محمـــد أرتـــدي ****** وبـــحـبـه أتمـنـطـق[2]

ثم أعقب الشاعر ذلك ببيان فضل يوم وشهر ميلاد الرسول صلى الله عليه وسلم وتوضيح ما غشي العالم على اثر ذلك بشرى وابتهاج وما علا الوجوه من نضارة وسناء ثم عاد من جديد ليؤكد للرسول على لسان ذلك الفتى وهو يعني ولا شك سائر

1- ديوان محمد العيد ال خليفة، ص 77.

2- المصدر نفسه، ص 167 .

الناشئة الجزائرية ومن ورائهم عموم الشعب الجزائري بأنه سيكون أسرع أترابه إلى ما يرضي رسول الله وانه سيكون جنديه الغازي بأمره ونحسب في هذا المعنى ما فيه من إيحاء وتوجيه غير مباشر للشباب بان يعدوا أنفسهم للجهاد دفاعا عن العقيدة والوطن وتحقيقا لما تعلق عليهم الأمة من أمال وتذهب بالشاعر عاطفته الصادقة المشبوهة بحب الرسول وإتباع هديه، إلى استخدام أسلوب القسم بصيغة المفرد المتكلم دائما تأكيدا على تباته وتبات شعبه على العقيدة التي لم تستطع اسه قوة أن تنال مثقال ذرة من إيمانه او تزحزحه قيد أنملة عن نهجها:

أنا أســـرع الفـــتيـــان فـي ما تـرتـضـيـه وأسبـــــق
جُـــــنْـدِ يُّك الغـــازى بأمـ ـرك يـوم يغـزو الفيـلـــق
قـــــسمـــــا بـــــربك إننـي من غـــيـِره لا أفـْـــرق
أنى علـــى البيضـــاء معـــــ تـدل الخُـطـــــا لا أزلـــــق
لا أنـــثـنـــــى عنـــهـــا ولـــو أصـْلى الجحيم وأشْنَـــــق

ونشير إلى أن هذه القصيدة قد نالت حظا وافرا من إعجاب الأمة بها مما حملها على المثابرة في الحفلات التي تقام إحياء لذكرى المولد النبوي الشريف ولم تكد تلك الأنشودة لتبلغ تلك الخطوة فيما احسب إلا بما استطاع الشاعر أن يوفر لها في موضوعها وفي صورتها من نبل المقصد وصدق الشعور وسمو المعنى ويسر التعبير وقد تمكن الشاعر بهذه الأنشودة وبمثيلاتها أن يساهم بفاعلية إلى جانب إخوانه من شعراء الحركة الوطنية الحضارية في تحقيق جملة من الأهداف التي كانت تتوفاها من هذه الاحتفالات المولدية بتوجيهه إياها نحو ما يخدم الصالح العام وينفع الأمة في دينها ودنياها.

1- المصدر نفسه، ص 167 .

المطلب الرابع: خصائص المديح النبوي:

1/ مضمونا:

من أهم مميزات المديح النبوي أنه شعر ديني ينطلق من رؤية إسلامية، ويهدف إلى تغيير العالم المعاش وتجاوز الوعي السائد نحو وعي ممكن يقوم على المرجعية السلفية بالمفهوم الإيجابي. كما أن هذا الشعر تطبعه الروحانية الصوفية من خلال التركيز على الحقيقة المحمدية التي تتجلى في السيادة والأفضلية والنورانية. ويعني هذا أن المديح النبوي يشيد بالرسول صلى الله عليه وسلم باعتباره سيد الكون والمخلوقات، وأنه أفضل البشر خلقة وخلقا، وهو كذلك كائن نوراني في عصمته ودماثة أخلاقه. لذلك يستحق الممدوح كل تعظيم وتشريف، وهو أحق بالتمثل واحتذاء منهجه في الحياة، كما أن عشق الرسول صلى الله عليه وسلم في القصيدة النبوية يتخذ أبعادا روحانية وجدانية وصوفية.

ويلاحظ على الغزل الموجود في كثير من القصائد النبوية أو المولدية أنه غزل يتجاوز النطاق الحسي الملموس إلى ما هو مجازي وإيحائي. أي ينتقل هذا الغزل من النطاق البشري إلى نطاق الحضرة الربانية.

ويسافر شعر المديح النبوي في ركاب الدعوة المحمدية وشعر الفتوحات الإسلامية ليعانق التيارات السياسية والحزبية فيتأثر بالتشيع تارة والتصوف تارة أخرى. ولن يجد هذا الشعر استقراره إلا مع شعراء القرن التاسع الهجري مع البوصيري وابن دقيق العيد[1].

1- القصيدة من مخطوطة بالخزانة العامة بالرباط في مجموع من ورقة 166-168، رقم:744.

بيد أن شعر المديح النبوي سيرتبط في المغرب بعيد المولد النبوي وشعر الملحون والطرب الأندلسي ليصبح في العصر الحديث شعرا مقترنا بالمعارضة في غالب الأحيان.

وعلى أي حال، يتميز المديح النبوي بصدق المشاعر ونبل الأحاسيس ورقة الوجدان وحب الرسول صلى الله عليه وسلم طمعا في شفاعته ووساطته يوم الحساب. وما حب الرسول في القصيدة والوقوف على جبل عرفات والانتشاء بكل الأفضية التي زارها الحبيب أثناء مواسم العمرة والحج.[1]

1- القصيدة من مخطوطة بالخزانة العامة بالرباط في مجموع من ورقة 166-168، رقم:744.

2/ شكلا:

ستند أغلب قصائد المديح النبوي إلى القصيدة العمودية القائمة على نظام الشطرين ووحدة الروي والقافية واعتماد التصريع والتقفية في المطلع الأول من القصيدة.

وتتسم القصائد النبوية والمولدية الحديثة ذات النمط الكلاسيكي أو التراثي بتعدد الأغراض والمواضيع على غرار الشعر العربي القديم، والسبب في هذا التعدد هو معارضة القصائد الأصلية التي تدفع الشاعر إلى انتهاج نفس البناء والسير على نفس الإيقاع والروي والقافية واستخدام نفس الألفاظ والأغراض الشعرية. ومن ثم، فالقصيدة النبوية تتكون على مستوى البناء من المقدمة الغزلية ووصف المطية ومدح الرسول (صلعم (والتصلية والدعاء والاستغفار والتوبة. وهذا ما أفقد المديح النبوي الوحدة الموضوعية والعضوية على الرغم من وجود الاتساق اللغوي على مستوى السطح الظاهري والانسجام على مستوى العمق الدلالي.

وفيما يخص الإيقاع الخارجي، تعتمد قصائد المديح النبوي على البحور الطويلة الجادة التي تتناسب مع الأغراض الجليلة الهامة لذلك يستعمل شعراء المديح النبوي البحر الطويل والبحر البسيط والبحر الكامل والبحر الوافر والبحر الخفيف، ومن أهم القوافي التي استعملت كثيرا في الشعر النبوي الميم والسين واللام والتاء والهمزة والجيم. وهي قوافي صالحة وطيعة لرصد التجربة الشعرية ماعدا قافية الجيم التي تثير جرسا خشنا ونشازا شاعريا[1].

1- إسماعيل زويريق: على النهج،مطبعة وليلي، مراكش ؛الجزء 1، ط4، 2004، ص08 .
2- على النهج، مطبعة وليلي، مراكش ؛الجزء الثاني، ط1، سنة 2006، ص 09 .

وعلى مستوى الإيقاع الداخلي، فشاعر المديح النبوي يستعمل بكثرة ظاهرة التصريع والتوازي الصوتي والتكرار الإيقاعي والجمع بين الأصوات المهموسة والأصوات المجهورة. وينسجم هذا الإيقاع الشعري بكامله مع الجو الموسيقي والنفسي والدلالي للقصائد المدحية[1].

كما يمتاز المعجم الشعري بالجزالة وفخامة الكلمات وقوة السبك ورصانة الصياغة وهيمنة المعجم التراثي وغلبة الألفاظ الغريبة غير المألوفة. لذلك يغلب الجانب التراثي والبيان السلفي على هذا الشعر الديني كتابة وتعبيرا وصياغة.

ويستخدم هذا الشاعر المادح لرسول الله صلى الله عليه وسلم الجمل الفعلية الدالة على التوتر والحركية والجمل الاسمية الدالة على الإثبات والتأكيد، ونجد كذلك المزاوجة بين الأساليب الخبرية والإنشائية قصد خلق الوظيفة الشعرية وينتقل الشاعر تداوليا في قصائده المدحية من ضمير المتكلم الدال على انفعالية الذات والانسياق وراء المناجاة الربانية والاستعطاف الذاتي إلى ضمير المخاطب أو الغياب للتركيز على الممدوح وصفا وإشادة وتعظيما[2].

1- إسماعيل زويريق: على النهج،مطبعة وليلي، مراكش ؛الجزء 1، ط4، 2004، ص08 .
2- على النهج، مطبعة وليلي، مراكش ؛الجزء الثاني، ط1، سنة 2006، ص 09 .

خاتمة:

يتضح لنا مما سبق أن محمد العيد آل خليفة على الرغم من تنوع أغراضه الشعرية وكثافة إنتاجه الشعري إلا انه تمكن من الاستئثار لنفسه عرض المديح النبوي الذي كان رائدا فيه ومن أهم النتائج المستخلصة من هذا البحث ما يلي:

1/ تنوع الموضوعات واختلاف مستوياتها الفنية جودة وضعف في التجربة الشعرية ولم يشبه في ذلك الشكل التقليدي لأنه أيضا لم يأسره نهائيا في قوالب جاهزة .

2/ عزز الإيمان والصدق والواقعية مكانته الشعرية الذي عبر عنه بإخلاص لقضايا ووصف أوضاع ومناسبات هي مدح الرسول الكريم بحي ووفاء تام.

3/ يعتبر الشاعر ذا كلمة واعية وذا ضمير وطني إنساني حي كما كان الشعر سلاحا قوميا فاعلا لا إفرازات شخصية وهو مجاهد بإيمانه وفكره وموقفه وروحه في صمت الواثقين لا دجالا انتهازيا يتاجر بالشعارات وبالمواقف .

4/ وشاعرنا لم يخرج قط عن مورو ته الحضاري العام اسمانا صادقا في القول وتعبيرا شعريا عن قناعة وموقف وانفعال وبه صارت وظيفة الشعر نضالية عربية عموما وجزائرية خصوصا في مسيرة الكفاح السياسي من اجل الرفاهية والتقدم في شتى الميادين.

وبهذا غرد الشاعر محمد العيد للجزائر طويلا استحق بكل معنى الكلمة ألقابا منها شاعر الشباب وشاعر الجزائر الفتاة وشاعر الشمال الإفريقي.

وختاما: ربنا لا علم لنا إلا ما علمتنا... فلم الحمد على ما أنعمت ... وصلى الله على حبيبنا محمد ... وعلى اله وصحبه أجمعين.

قائــمة المصادر:

1/ ديوان ابن الفارض. دار صادر بيروت.

2/ ديوان البوصيري، تحقيق سيد كيلاني، مكتبة المصطفى الباهي الحلبي، القاهرة 1955م.

3/ ديوان الأعشى الكبير ميمون بن قيس: شرحه وقدم له مهدي محمد ناصر الدين. دار الكتب العلمية. منشورات محمد علي بيضون، بيروت، ط3، 2003م - 1424هـ .

4/ ديوان حسان بن ثابت، تحقيق سيد حنفي حسين/ قدم هذه الطبعة عبد الحكيم راضي.

5/ ديوان الفرزدق، جمع محمد جمال، المطبعة الوطنية، بيروت ، 1933م

6/ ديوان كعب بن زهير. تقديم وشرح وتعليق احمد الفاضل. دار الفكر اللبناني.بيروت.ط1.2003م.

7/ ديوان محمد العيد محمد علي خليفة. الشركة الوطنية للنشر، الجزائر1967 م.

8/ ديوان محمود سامي البارودي: شرح وتقديم حجر عاصي، دار الفكر العربي، بيروت، لبنان،ط1 / 2002 م .

9/ ديوان ابن نباته المصري / نشر محمد الفلفيلي، مكتبة التمدن، القاهرة 1905 م .

قائــمة المراجع:

1/ أبو القاسم سعد الله: شاعر الجزائر محمد العيد آل خليفة، تصدير الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، دار الكتاب الجزائر، ط5، 2007م

2/ إسماعيل زويرق، على النهج، مطبعة وليلي، مراكش، ج1، ط1 ،2004م .

3/ زكي مبارك: المدائح النبوية في الأدب العربي، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط1، 1935م .

4/ صالح خوفي: صفحات من الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1937م.

5/ عبد العزيز الفشتالي: شعر عبد العزيز الفشتالي، جمع ودراسة وتحقيق نجاة المدني.

6/ عبد الله الركيبي: الشعر الديني الجزائري الحديث، الشركة الوطنية للنشر الجزائر1981م.

7/ عباس الجراري: الأدب المغربي من خلال ظواهره وقضاياه، مطبعة النجاح، الدار البيضاء، ط2، 1982م.

8/ قصيدة من مخطوطة بالخزانة العامة بالرباط في مجموع من ورقة 166- 168 رقم 744.

9/ عمر بن قينة: الأدب الجزائري الحديث تاريخا وأنواعها وقضايا وأعلامها، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون.

10/ لسان الدين بن الخطيب: ديوان لسان الدين بن الخطيب، تحقيق الدكتور محمد مفتاح، دار الثقافة البيضاء، ج1، ط1، 1989م.

11/ محمد بن تاويت، الوافي في أدب المغرب الأقصى، دار الثقافة البيضاء،ج1، ط1، 1982م.

12/ محمد ابن سمينة: محمد العيد آل خليفة: دراسة تحليلية لحياته، ديوان المطبوعات الجامعية، ابن عكنون، الجزائر1992م.

13/ محمد ابن سمينة: العيديات المجهولة، موفم للنشر، الجزائر،ط1، 2003م .

14/ محمد مصايف: فصول في النقد الأدبي الجزائري الحديث، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر 1981م .

15/ محمد صبري: نشر دار المسيرة، بيروت، ط2، 1399هـ/ 1979 م.

قائمة الرسائل الجامعية:

1/ إعداد تقاري محمد خليفة الطاهر، علالي عبد القادر، الإسلام والعروبة في شعر محمد العيد آل خليفة، تحت إشراف وذناني بوداود، دفعة 1995-1996 م.

2/ إعداد حرة زياط توميمه زروالة: الحسن الإصلاحي في شعر محمد العيد آل خليفة، صديقي ناصرية، تحت إشراف الأستاذ وذناني بوداود دفعة 2000م .

قائمة الدوريات:

1/ مجلة الأثير عدد 5 عام 1972 بعد بثها في القناة الأولى صباح يوم 1992/07/05 كما نقلتها بعد ذلك مجلة الجيش.

الملخص باللغة العربية:

أبادر القول أن ما يملا قلب الشاعر محمد العيد آل خليفة من حبه للرسول الكريم هو اعتزازه بسيرته واهتدائه بسنته قد فاض من لسانه إبداعا شعريا صادقا يتمثل في جملة من القصائد المولدية نهج فيها الشاعر نهجا واقعيا حرص فيها على المساهمة في النهوض بالوطن والمنافحة عن قيمه ومقومات شخصيته والذود عن حقوقه وقضاياه.

بالفرنسية:

Cette étude va pouvoir démontrer une relation très intime et sincère entre le poète Mohamed el Khalifa et le prophète Mohammed que le salut soit sur lui. Sa poésie est une réflexion authentique de la conduite du prophète et l'obligation de la suivre complètement. Le poète et a travers ses poèmes il a bien personnifie et rendu homme je a une personne telle due le prophète. IL a performé plusieurs figures de Aimer son pays et la comme défendre à fond et ce à l'aide d'une méthodologie réalistisu.

بالانجليزية:

Take the initiative to say that what fills the heart of the poet Mohammed Eid Al Khalifa of love for the Prophet Muhammad is his pride biography and his conversion Psonth has burst on the tongue creative poetic honest is a series of poems Amouldih approach where the poet realistic approach keenness in which to contribute to the advancement of the homeland and the advocacy of the value and the elements of his personality and to protect the rights and issues.